في مفهوم اسرائيل لما تسميه «الأمن القومي»

د. الياس شوفاني

إن وعياً سليماً لمفهوم اسرائيل لما تسميه «الأمن القومي» لا يستقيم إلّا إذا تم ربطه بطبيعة الكيان الصهيوني الاستيطانية والعدوانية. فهذا المفهوم، بطبيعة الحال، فريد من نوعه فرادة اسرائيل بين الكيانات السياسية القائمة في العالم أجمع. لكنه، على الأقل من زاوية نظر قيادة العمل الصهيوني، منسجم مع «الاستراتيجية العليا» للكيان الاستيطاني، الرامية إلى ترسيخ مبرر قيامه وبقائه. فالكيان الذي قام على هامش المشاريع الامبريالية الكبرى، إزاء الشرق الأوسط، كان لابد له أن يرتبط عضوياً بالمراكز التي وضعت تلك المشاريع. ولما أوكل إليه دور يلعبه في تجسيد تلك المشاريع، صار انجاز ذلك الدور يشكل، بطبيعة الحال، ركناً أساسياً في «الاستراتيجية العليا» لهذا الكيان؛ وبالتالي، في مبرر وجوده وبقائه. والكيان الذي قام على قاعدة «الفكرة الصهيونية»، يصبح تحقيقها على أرض الواقع، بالنسبة إليه، ركناً أساسياً آخر في استراتيجيته العليا. والفكرة الصهيونية انطلقت من وعي زائف لطبيعة «المسألة اليهودية»، يقوم على فهم قومي لها، وبالتالي، فقد طرحت الصهيونية «حلاً قومياً» لتلك المسألة، يقوم على قاعدة بناء «دولة قومية يهودية»، تتحقق بالاستيطان في فلسطين. وكان طبيعياً أن تخفق الصهيونية في حل المسألة اليهودية، كما هو واقع الحال اليوم؛ بل وأكثر من ذلك، فقد تسببت بخلق مسألتين مترابطتين، هما: الاسرائيلية والفلسطينية. والكيان الذي قام بالاستيطان الإحلائي يصبح تغييب أهل البلد الأصليين، وصولاً إلى تذويبهم، ركناً آخر من استراتيجيته العليا؛ كما يكون الصراع معهم، والعمل على ضرب حركتهم الوطنية وتصفية قضيتهم، جوهر أمن هذا الكيان الجاري. من هنا فرادة «أمن اسرائيل القومي»، بشقيه: الجاري والاستراتيجي، وبالتالي، مفهوم القيادة الصهيونية لأمن كيانها الاستيطاني. وعلى هذا الأساس تشكلت «العقيدة الأمنية» لدى القيادة الصهيونية، وبالتالي، المفهوم الخاص لـ«الأمن القومي» لدى المؤسسة الحاكمة في اسرائيل، وعمودها الفقري: الآلة العسكرية الصهيونية.